

نفحات القرآن

[129] قبل التاريخ وما بعد التاريخ هي مسألة اكتشاف الخط). * * * وفي الآية السادسة بَعْدَ أَنْ يَنْسِبَ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ إِلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ جَمِيعِ الرَّحْمَاتِ وَالْكَرَامَاتِ، يَتَحَدَّثُ عَنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَيَقُولُ: (خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ). وَلِـ (الْبَيَانَ) مَفْهُومٌ عَامٌ حَيْثُ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَوْضُوحٍ كَانُوا مِنَ الْإِسْتِدْلالاتِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْمَنْطِقِيَّةِ الَّتِي تُبَيِّنُ الْمَسَائِلَ الْمُعْقَدَةَ، أَوِ الْخَطَّ وَالْكِتَابَةَ، أَوِ الْكَلَامَ الَّذِي يَعِدُ مِنْ أِبْرَزِ مَصَادِقِهِ. وَقَدْ أَعْطَى الْمُفَسِّرُونَ امْتِحاناتٍ كَثِيرَةً فِي تَفْسِيرِ (الْبَيَانَ)، فَقَدْ أَعْتَبَرَهَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِمَعْنَى بَيَانِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَفَرِيقٌ آخَرَ بِمَعْنَى بَيَانِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَثَالِثٌ بِمَعْنَى أَعْتَبَرَهَا الْأَسْمَاءَ الْأَعْظَمَ، وَرَابِعٌ بِمَعْنَى تَعْلِيمِ اللُّغَةِ (1). لَكِنْ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ ظَاهِرَ (الْبَيَانَ) هُوَ التَّكْلِيمُ، وَتَبَدُّو بِقِيَّةِ الْإِحْتِمالاتِ ضَعِيفَةٌ (2). وَهنا كَيْفَ عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ التَّكْلِيمَ؟ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّهُ هُوَ الَّذِي "وَضَعَ اللُّغَاتِ" ثُمَّ عَلَّمَ الْأَنْبِيَاءَ ((عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)) عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِهَذَا الرَّأْيِ، إِنَّمَا الْمَقْصُودُ هُوَ الْإِلْهَامُ الْبَاطِنِي مِنْ قَبْلِ اللَّهِ تَعَالَى _____ (1) تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ ج 9 ص 6322 - رُوحُ الْمَعَانِي ج 27 ص 86. (2) إِذَا فُسِّرَتْ (الْبَيَانَ) فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَلَى أَنَّهَا الْأَسْمَاءُ الْأَعْظَمُ فَهُوَ مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْمَصْدَاقِ الْوَاضِحِ.